القرآن في مدرسة أهل البيت (عليهم السّلام):

أ.م.د:مشكور كاظم العوّادي
كليّة الآداب-جامعة الكوفة
قسم اللغة العربية

المقدّمة:

ما من مسلم يجهل موضع الإمام علي (عليه السّلام) ومكانته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد واساه في المواضع التي تنكص فيها الأبطال حتى سجل له التاريخ مواقف بطوليّة سامية ومزايا إيمانيّة مخلصة أبلى فيها أحسن البلاء دفاعاً عن دين الحق.

وقد منحته هذه مصداقية مثلى في التوحيد والإيمان فعلّي لم يسجد إلا لله تعالى هذا أوّلاً:وثانياً: صلابته العليا على المبدأ والإسلام، ذلك أنّ قلبه منذ طفولته لم يدخله شيء غير الإسلام، وثالثاً شجاعته الفائقة على الحدّ المعتاد فكان هو المجاهد العظيم في سبيل الحق،وعند هذه جميعاً لا تأخذه في الله لومة لائم في قيادة الأمة ومواجهة الصعاب حتى استشهد من أجل إعلاء دينه وفوق هذه وتلك فهو إمام البلغاء والمتكلمين كما هو إمام المتقين وآيته في ذلك (نهج البلاغة) الذي يمثل أساساً بيانياً ونمطاً أسلوبياً يسمو به البيان على كل العصور، ذلك أنّه حاز أعلى مراتب الإمكان البشري بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وكل هذا من ثمار المدرسة القرآنيّة النبوية التي تربّى الإمام في أحضانها صغيراً ويافعاً فأنتجت خطاباً عفوياً رائقَاً، فائق الوزن من ناحية البلاغة، فضلاً عن رسوخه، وهو عنصر متولد من الجنان القرآنية المزروعة ثمارها في القلب العلوي.
وقد أينعت بفضل كتاب الله الذي يعدّ ساقيها وحاميها والمغدق عليها من سلسبيله وعندها جاءت بلاغة الإمام مصداقاً متواضعاً للبلاغة القرآنية المعجزة على امتداد للخط المحمدي في الدّفاع عن القرآن شرحاً وبياناً مع أنّه يستمدّ منه عزيمة ومضاء ورسوخاً تمكنياً في السّرد الخطابي. كما كانت تشهد بذلك معاني كلماته الجليلة وهو يلقيها في مجالس القوم فرائد محكمة،وسمائط مُمتعة من خلال نفسه الوعظي الإرشادي، وحسّه التربوي الأخلاقي المتواجدين في خطاباته ورسائله وكتبه .
ولمّا كانت القضية الأخلاقيّة هي المُهمّة الأكيدة في نهجه (عليه السلام) فقد خاطب بها الوجدان القلبي والدليل العقلي معاً على اختلاف ما تناوله من موضوعات: توحيداً وإيماناً وكتاباً وإسلاماً، موتاً وشهادة، وبعثاً وقيامة ،وموعظة وتهذيباً ،كوناً ولطائف معجزة استخلاصاً وأمثالاً، أوصافاً وحكماً مستقاة وسمواً في الزّهد والحياة.

وعندها كان خطابه موجهاً بهاتين الخصلتين، وقد عضّده بالأسلوب القرآني المعجز، فهو لا يداهن في كلامه أحداً؛ بل يلقي الحقائق مزمجزة مُصمتة للأسماع قبلها من قبلها، وتأبّاها من تأبّاها، لأنّه شديد في جانب الحقّ وإن قلّ أصحابه ومؤيّدوه.

من هنا جاء أسلوبه غير متكلف ،بل كان يطاوع الإمام أكثر مما تطاوعه يده في حمل سيفه للدفاع عن الحق ،بمعنى أنّه أسلوب تلقائي ابتعد عن الجذبة العاطفيّة التي تعتمد على التخيّلات ،لأنّ هذه لا تليق بمقام الإمام، لذا استعاض عنها بموحيات الحكمة، وانتقاشات الفطنة،وهي عنده من ينابيع جوامع الكلم وفصل الخطاب، لذلك أتى نصّه مشدوداً جزلاً بلا انفعالات وتهويمات، وذلك لمخاطبته العقل الإنساني أوّلاً، ومكامن الحق في القلب ثانياً، وإن احتوت نصوصه الخيال، فخياله أخّاذ متزن منضبط بالحقيقة الالهية العليا،لأنّ عليّاً-عليه السّلام - قد اتسق بعقله وجسمه وقلبه لله سبحانه وتعالى لا يخالفه قيد أنملة.

ويمكن اعتبار الخطاب العلوي قراءة ثانية للقرآن بعد القراءة الأولى للرّسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) له لا تفترق عنها إلا في الامتداد الزّماني،وذلك لوجود الوشائج المشتركة بينهما فضلاً عن سمة الإيحاء المختصّة بالرسول الأعظم التي أضفت خصائص مميّزة للقراءتين،وعندها تحلل هذه القراءة بحسب التصوير الشخصي للإمام ،لأنّها تجسّدت داخل شخصيته، وأينعت من ظروفه المحيطة المُحتفة به ، وإمكاناته النادرة المُبدعة..

وبعد: فهذه ملكات يمنحها الله سبحانه لكل من أخلص له جهداً وجهاداً، وهي تُؤمئ إلى غيبيّة تلك الملكات الذهنيّة المسدّدة في الناطقيّة والذهنيّة والاعتقاديّة، فأهل البيت امتداد الأنبياء عليهم السلام في تحقق هذه الملكات بما يدلل على أنّ الملكة الذهنيّة الغيبيّة هي هبة الهيّة لا تعمّل للنّاس في جودتها وإجادتها، وإنّه سبحانه وتعالى يمحنها لمن يشاء من عباده المخلصين.

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً.

[الإمام علي (ع) عدل القرآن]

يعدّ النص القرآني مصدر النهج الأوّل تنظيراً واكتمالاً، بمعنى أنّ هذا التنزيل المبين قد نظر لنهج البلاغة اقتداءً واحتذاءً ،لأنّ الإمام علياً (عليه السلام) عدله- والعدل دائماً في إشارة مستديمة إلى مثيله،وهو بذلك يحاذي القرآن ويساوق مجراه في بلاغته،وهذا لاينقض الإعجاز القرآني؛ لأنّ الإمام لا يمكن أن يكون معجزاً؛ وإن كان هو عدلاً للكتاب ،فالإعجاز هو روح الكتاب. - كما بيّن ذلك نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث الثقلين[1]- وهو حديث متفق عليه- لقوله: إنّهما لا يفترقان حتّى يردا علي الحوض، فالثقلان الأكبر والأصغر: (الكتاب وهو الحق وعلي) لا يفترقان، فالثقل الأكبر هو القرآن، والثقل الأصغر هو الإمام ،فلا يغني أحدهما عن الآخر.

وإذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فإنّ بلاغة علي كانت ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)) [2]، واستناداً إلى هذه الوجهة نجد أنّ البلاغة ثلاثة

مستويات: بلاغة القرآن المعجزة أو الإعجازيّة، وبلاغة الإمام الراسخة، والبلاغة الفنيّة (الوضعيّة).

فالبلاغة القرآنيّة المعجزة وهي ما لا يمكن الإتيان بمثلها ،وبذلك تتجاوز حيّز الفنّ البلاغي المقصود إلى الإعجاز اللاتمكني (أسلوباً ومضموناً)، وبهذه الحال تتحوّل البلاغة إلى بعد أو أمر آخر وهو الإعجاز الذي تحدّى الإنس والجنّ بالإتيان بمثله فما استطاعوا، ومن هنا فبلاغة القرآن هي بلاغة الحق المسكت النازل على لسان نبينا الأعظم المصطفى محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم).

أمّا البلاغة الرّاسخة ومنها بلاغة الإمام علي (عليه السلام) فهي التي يتحلى بها الراسخون في العلم وعلى وجه الخصوص آل بيت محمد عليهم السلام وعموماً كلّ خط الرسالات والأنبياء والصّديقين والشهداء، وقد أعطاها الرّسوخ دفعاً عقائدياً حيّاً لأنّها محتذية بالبلاغة الأرقى وهي الإعجازيّة.

فقد كان الإمام علي يستعمل بلاغته لتحريث بلاغة القرآن ،لأنّ بلاغته تترابط مع بلاغة الكتاب نسقاً واحداً في التآزر نحو الحقّ، ومن هنا فالإمام مترسّخ في علم الكتاب. ولمّا كانت البلاغة تنسيقاً فنياً راسخاً بين الطرفين فقد أصبحت عنده وشيجة الربط بين الإعجاز القرآني ومستوى المخاطبين، وعندما استعملها الإمام لتوضيح مقاصد القرآن لهم، وهذا يعني أنّ الامام قد أفاد من الإعجاز القرآني في الإبانات الخطابيّة للأمة ككلّ عام،وقد ارتكز عليه الامام (عليه السلام) لأنّه صفة من صفات هذا الكتاب الكريم.

فأقوال عيسى (عليه السلام) في الإنجيل -التي لم يصبها شئ من التحريف- بليغة وعلى مستوى عالٍ من الصناعة الأدبيّة فضلاً عن الحكمة العالية، وهذا يؤول بنا إلى القول: إنّه غالباً ما يكون رجال الحقّ على جانب عظيم من صناعة الكلام، وفصل الخطاب فضلاً عن نسائهم، وهو متأتّ من المنزلة السّامية لهم عند الله، وقد لازمت تلك المنزلة البلاغة المتوشّحة بمسوح القدس أو المسحة الالهيّة، وهذه الملاحظة لم تختصّ بآل بيت النبوة أو بأنبياء العرب (عليهم السلام) حتىّ يقال: باللسان العربي هو مكمن الفصاحة فمثلاً :نوح وإبراهيم وهود وصالح وموسى وعيسى، وهي ألسن متنوعة نطق بها القرآن، وهم أسياد الحجة والبيان في أقوامهم،وبذلك نستحصل على أن نظاميّة البلاغة هي من النّظام القرآني المعجز، بمعنى أنّها معجزة على الإتيان بمثلها، ولكنّها ليست معجزة عن الإفهام والإبلاغ.

فبيان الإمام علي (عليه السلام) كما قيل: ((هو بلاغة من البلاغة وتنزيل من التنزيل،بيان اتصل بأسباب البيان العربي ما كان منه وما يكون))،[3] فلاشكّ في أنّه نصّ عروبيّ بالدّرجة الأولى، فهو موضوع ومنضّد بالأساليب العربية ،وهو يحذو حذوها ولكنه يتعالى فوقها بمقاصده العقائدية والأخلاقية، ذلك أنّ ((عليه مسحة من العالم الالهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي)) [4].

وعندها عدّ الإمام من أساطين البلاغة الرّاسخة ،والخبير في علياء ألويتها، ومنبع حكمتها وتأسيس ثوابتها لتكون بلاغته هي المعلم المنير أو المنهل الأصيل للبلاغة الانسانيّة. يقول الشيخ محمّد عبده: حول كلام الإمام: انه كان ((...مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة

ومولدها، ومنه -عليه السّلام- ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ)) [5].

وهو يعني أنّها كانت في كلّ متّسق، ونطاق متصل أو نسق واحد وسياق متلاحق، ولمّا كانت كذلك فهي من البلاغة الراسخة وكان تأثير كتاب الله فيها توشيحاً وتنسيقاً بما يضفي عليها إضاءات مستديمة ،ومعان سامية، وعندها أسبغ الإمام رسوخه على بلاغته، فبلاغته عفوية ،ولكنّها أصبحت راسخة بلحاظ صدورها منه، ومن هنا ((فبلاغته مقطوع بها))[6]،ومفروغ منها لأنّه باب وحده، وسيّد بلغاء العرب، والذروة الكلاميّة من بني هاشم،وغيرها من الخصال التي تفرّد بها ،وفوقها المزيد، وفي ذلك يقول جورج جرداق:

((ثمّ إنّ الله يسّر له العدّة الكاملة لما تقتضية الخطابة من مقومات أخرى، فقد ميزه الله بالفطرة السليمة والذّوق الرفيع والبلاغة الآسرة ثمّ بذخيرة من العلم انفرد بها عن أقرانه وبحجة قائمة ،وقوّة إقناع دامغة ،وعبقريّة في الارتجال نادرة ،زد على ذلك صدقه الذي لا حدود له، وهو ضرورة كل خطبة ناجحة، وتجاربه الكثيرة المرّة التي كشفت لعقله الجبار عن طبائع الناس ،وأخلاقهم وصفات المجتمع ومحركاته)) [7].

ولمّا كان الإمام أصدق الخطباء والقرآن العظيم يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) [8]، وهو يعني: محمّداً وآل بيته[9]. فهذا دليل قوي على إمامته، فصدقه يمثّل التحلية البلاغيّة الايمانيّة لكلماته، فهو لايهدي الأمّة الى ضلال ،ولكونه صادقاً مع ربّه ومع رسوله فقد منحت له هذه المزايا تفوّقاً في الإيمان والخطابة.

من هنا فالمستوى البلاغي الأوّل، وهو المعجز يؤثر في الثاني، وهو مستوى البلاغة الراسخة بمقدار اقتباس الإمام واستشراقه من آيات القرآن، ويكون الإعجاز هو الدافع الأهمّ لبلاغة القرآن أوّلاً،لأنه العلة الكاملة لبلاغة القرآن،وعليه فبيانه المتفرّد مستمد من إعجازه البياني وخلوده، وما يستقيه الإمام في بلاغته ثانياً، وما ينتج عنهما من إبانة وتفسير ينتهله المستوى الثالث في بلاغته الجزئية، لاسيّما في إظهار ملامحها الحقيقية وإزالة الرّكام التقليدي عن وجهها المشرق.

أمّا كون الإمام (عليه السلام) من الرّاسخين فهو من باب كونه المقدّم فيهم، إذ يبيّن لنا معنى ذلك بقوله:

((واعلم أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً فاقتصر على ذلك، ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين)) [10].

إذاً فالرسوخ في العلم هو: التّوقف عند الحدود المسموح بها،وعدم التمادي فيما ضرب دونه سدف الغيب. ولمّا كان الإذعان هو أساس الرسوخ فهم يتعلمون بموجب أوامر الهيّة بأن يتقدّموا في العلم أو يتوقفوا وليس تعليمهم بحسب أهواء نفوسهم. كما لاحظنا ذلك في احدى قصص سورة الكهف للعبد الصالح الذي قصده النبي موسى (عليه السلام) وطلب منه أن يتبعه على ان يعلمه من ذلك العلم اللدني[11].

وقوله تعالى :((وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا))[12] من هذا الباب أي: يعلمون تأويله بمدد الهي لا بتعليم من ذواتهم ،لأنّهم مصطفون، وعندها تكون لهم إحاطة في التفسير والتأويل بإذن الله.

ويوضّح لنا الإمام سمات هؤلاء الذين خصّهم الله سبحانه وتعالى بهذه المنزلة فيقول:

((أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا ،أن رفعنا الله ووضعهم ،وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى ،وبنا يستجلى العمي إنّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ،ولا تصلح لولاةٍ من غيرهم))[13].

إذاً رفعهم الله ،وهو منصب الهي حقيقي لرفعة المؤمن وخفض الكافر، أمّا العطاء فهو عبق الإيمان وسلسبيل الجنان، وقد حرم أولئك, وكان ذلك إيذاناً بدخول جنانه، وإخراجاَ الكافرين منها.

ثم يبيّن من صفات الرّاسخين أنّهم عطّاءون للهدى منّاحون له، وهم جلاءون للعماية والضلالة أي: كشّافون لمهامه العماية والغواية.

ومن صفاتهم أيضاً: أنّهم اصطفوا من بني هاشم ((**ذرّيّة بعضها من بعض**))[14]، كما يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه ،وعندها تكون البطن على وفق الخط الخلافي من آل ابراهيم (عليه السلام) مستنزلاً في آل هاشم امتداداً إلى قائمهم آخر الزمان، فهو منهم ذريّة وأنسالاً.

وقولة علي (عليه السلام): (فاسألوني قبل أن تفقدوني)[15] تمكّن ورسوخ علمي عاليين في مقام المساءلة نصحاً واتعاظاً ،لأنّه يعلم أنّهم في حاجة، لعلهم ينتفعوا بشئ لهم من علمه، تلك المقولة التي ما قالها أحد بعده إلا وقد خاب بما أفحمته الأسئلة، ولكنّ مصيبة الإمام (عليه السلام) أنّه قالها ،والقوم في جهالة لم يفيدوا من تلك السّوانح الثمينة.

وإذا كان النظام القرآني أميناً دائماً لمقاصده الثابتة لا يحيد عنها ، فكذلك كان الإمام (عليه السلا م) صادقاً على هذه الأمانة أميناً بتطبيقها على وفق مقتضى الحال ،لأنّ هدفه كان كالكتاب المنزل لهداية الناس لاسيما وأنّه من الراسخين في العلم؛ بل هو من الحافظين والحاملين لذلك الكتاب في الوقت نفسه.

فكان أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام علي وذريّتهم راسخين ، حافظين ، حاملين، وهذه تتفق في مفهوم واحد هو: إنّ الإمام عدل الكتاب ،لأنّه راسخ حافظ حامل له.

إذاً هو المؤتمن الوحيد على كلام الله وآيات الكتاب بعد رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ولا يمكن لغيره أن يوصل هذه المفهومات إلى الناس على نحو تامّ، وهي البلاغة العلوية في أنموذجها الرفيع, بمعنى أنّ هذه الأهليّة لا تتوافر عند غيره من الخلفاء أو الصّحابة بهذه الدرجة لحمل الكتاب.

فالإمام (عليه السلام) مبدع في البلاغة راسخ فيها، ذلك أنّها تحصيل حاصل عنده، لأنّ الرّسوخ هو الجمع بمكامن العلوم والمعارف كلها ،وعلى رأسها تأويل القرآن الذي يحويها جميعاً، وهذه البلاغة عامة فيهم رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً بما لا يدع جانباً من الشك أنّهم

امتلكوا عدالة الإمامة كما امتلكوا عدالة الكلام ،حتّى وصفهم الطاغية يزيد حين منع زين العابدين (عليه السلام) بدءاً الصّعود على منبر دمشق، لئلا يفضحه فقال: ((إنّه من أهل بيت ورثوا العلم والفصاحة ،وزقّوا العلم زقاً))[16].

وقال الإمام علي (عليه السلام): ((...وإنّا لأمراء الكلام ،وفينا تشعبت عروقه، وعلينا تهدّلت غصونه))[17] ،ومن هذا المنطلق فالبلاغة تسير في ركابهم كظلهم؛ بل تلقى على ألسنتهم بالسّليقة المباشرة ،وكانت لهم ذلك ،لأنّهم يستعملونها في سبيل إحقاق الحق، ومواجهة الطغيان.

فقد رسخت مثل هذه القيمة العقائدية مصداقاً لنزول آيات كثيرة من الذكر الحكيم فيه (عليه السلام) ،لأنّ مهمته الجهادية في الدعوة الإسلامية وصيّاً للرسالة وأميناً عليها بعد وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان الإمام مفسّراً مبيّناً لتوضيحه ودفع الجهالة عنه، لأنّه بالأساس كتاب هداية، لذا يصلح الإمام ها هنا أن يكون داعية حقّ لاعوج فيه ،لأنّ دعوته كانت مقترنة بالكتاب بما يشكل عدلين متكاملين لا يفترقان، وعندها فعليّ (عليه السلام) هو الإمام الناطق بوضعه الإنساني -بطبيعة الحال- والكتاب يستنطق على لسانه، لكونه مفسّراً مبيّناً له. فعلي مع الحقّ بمعنى أنّه مع الكتاب، وأخلاقه من الكتاب، وسيرته في ضوء الكتاب ،لذا فقوله عليه السّلام: ((واعلموا أنّه شافع مشفع... فإنه ينادي مناد يوم القيامة:((ألا إنّ كلّ حارث مبتلىً في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن)) فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم)).[18]تحقيق لذلك.

فقد كان حرثه (عليه السلام) على وفق الآتي: لكي نكون معه (مع القرآن):

1-المسلك الاستدلالي من الكتاب على منزله، وهو خير مدلّ وخير دليل.
2-طلب الاستنصاح منه على علاج الأنفس وأمراضها وزوغان القلوب وتقلبها.
3- هو يصلح للمماحكة والتمحيص مع الآراء، ليكون الفيصل البات بينها والحكم العدل في مختلفاتها (إن الحكم الا لله).
:أي استكشفوا ومحّصوا أهواءكم من خلاله، لأنّه حقّ صراح يكشف به الحقيقي عن المزيّف، ويمكّث ما ينفع الناس في الأرض ،ويذهب بالباقي جفاء.

وكانت حراثته (عليه السلام) تمهيداً لتثويره،وهو استقلاب النّص لاستكشاف بواطنه ،واستنهاض كوامنه واستجلاء حقائقه،وهذه الحراثة مدعاة لزيادة الهدى التي هي بسبب زيادة النّور المستمد من السّراج القرآني.

ومن هنا فالآيات النازلة بحقه هي من الإشارة التبادليّة بين الناطق والصّامت في حجة الله البالغة على الأرض،فعليّ (عليه السلام) ربيب مدرسة القرآن ،وعلى ذلك فلابّد أن توجد إشارات تأويليّة من القرآن عليه لايعلمها إلا الرّاسخون، فالقرآن يشير إلى الولي ليكون حاملاً مؤتمناً مستحفظاً على الكتاب، والإشارة المتعاضدة بين الاثنين هي المدلول الأوحد على صدق الولي، وصدق الكتاب، واستبانت قيمة هذه العلاقة في دلالة القرآن على صدق الرسول، وإشارة الرسول إلى إعجاز القرآن،ولكنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وصّى بالإمام (عليه السلام) فصار لزاماً على الأمة تنفيذ الوصيّة.. وما التزموا !!

وبذلك تدلل هذه الآيات النازلة في حقّه على خلقه القرآني, ونفس الرسول بمصداق آية المباهلة[19] التي تدلّ على المودة وذلك من اقترانها مع قوله تعالى: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[20] يتّضح ذلك، وعندها نقول: إنّ الودّ يخصّ عليّاً وفاطمة وولدهما بتأييد من القرآن للقرآن ،ومن ثم بيان النبي لذلك[21].

لقد استحقت أصول العقائد (التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد) الاهتمام والإلفات الشديدين عند الإمام فشغلت حيّزاً مهمّاً في نهجه، لأنّها تمثّل لباب العقيدة والشريعة، فهي رأس مال المؤمن، وسلاحه في مقارعة زخارف الدّنيا وزينتها ،ومن هنا عمد إلى تثبيتها في قلوب العامّة والخاصّة .

وعليه فتناول الإمام موضوعات القرآن: كالتّوحيد والإيمان والإسلام والموت والقيامة والوعظ والاعتبار متأتّ من أنّه كان سائراً في قافلته موضوعاً وهدفاً، ممّا أينع بلاغته في مهمّات مقاصده التي تمثلت في الخطب والكتب والرّسائل والحكم والمواعظ ،لأنّه دخلها مفسّراً ،ليغطي بها جميع مطالبه في توعية أمّة بكتابها، وإنهاض عزائمها المتهافتة. يقول (عليه السلام):

((أيها الناس، أني والله، ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها)) [22].

وهذه هي مهمّة الإمام المهمّة ،ذلك أنّه ممّن يقول، وقد فعل ،لا من يقول ولا يفعل،وبعبارة أخرى:عليّ فعّال ثمّ قوّال(يفعل ما يقول قبل أن يقول)،حتىّ لا يكون مدّعياً في ذلك،فهو يأمر بالمعروف ويفعله ،وينهى عن المنكر ،ويكون أوّل التاركين له.

وللإمام خطب كثيرة في ذمّ الدّنيا،وهو الخبير الأوّل بمثالبها، وتبيان فضاعاتها ،والتحذير من زوال زخرفها ، منها قوله:

((فاعلموا وأنتم تعلمون بأنّكم تاركوها وظاعنون عنها واتّعظوا فيها بالذين قالوا **"من أشدّ منا قوّة"**[23] حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً، وجُعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرّفات جيران...)) [24] .

وهنا يشير إلى الأقوام البائدة كالفراعنة والعماليق وقوم ثمود وغيرهم، من الذين كفروا نعمة ربّهم، فأذاقهم لباس البؤس، ليؤكد أنّ حفيرة الموت تستقبلهم لا بدعوة وحفاوة؛ بل بقسر وإجبار، وعندها فهم ليسوا بالمسافرين، ولا بالضّيوف المكرمين!!.

أثر القرآن في بلاغة النّهج:

يتضح أثر القرآن بدءاً من الملازمة الثابتة بينه وبين الكتاب الآخر،وهو الإمام الناطق بالحق، وقد انطوى هذا الأثر في عموم خطابات الإمام-عليه السلام- متمثلاً بميله الانطباعي المستمد تأثراً من ذلك الكتاب الإعجازي ، بمعنى أنّ له طابعاً قرآنيّاً متميّزاً لايمكن أن يحيد عنه فضلاً عن إمكاناته اللغوية التي ترقى بجهوده البلاغية إلى المصاف الأعلى،ومن ثمّ صوره البيانيّة التي استمدها على نحو متّسم بالنّظم القرآني، لذا تظهر صياغته محاكية للإعجاز إلى حدّ ما وصولاً إلى مزاياه المبدعة، وابتكاراته المتنوعة في أفانين البلاغة، إذ هو يصيب المقصد في قلب المقال، ولبّ الحال.،وسنلحظ جوانب مهمّة من ذلك في المحاور الآتية:

@[الخصوصيّات الأسلوبيّة]:

يتجذر أسلوب الإمام في الملامح الروحيّة العميقة، والمؤثرات النفسيّة البليغة فترى مسباره اللغوي يجسّ مواطن الحاجة للروح والذات ممّا يكشف حقائق عن الأحداث الواقعة وعن أخلاق القوم الذين يحيطون به ،وبذا كانت تحليلاته صائبة إلى درجة عالية جدّاً، وقد تحقق قسم منها حتىّ بعد موته في الاجتماع والسّياسة والناس.

لقد أصبح احتذاء الإمام الأسلوبي جماع مواصفات معينة توصله إلى درجة الامتياز بلحاظ ما يحويه أسلوبه من خصائص تتّصل بالفصاحة اللفظيّة(البيان)، والفصاحة المعنويّة(المعاني) ،وهو ما يمكن اتساقهما مع مفهوم النظم ،لأنّ الأسلوب ضرب من النظم ،وهو عنده ((سلسلة تنحدر من القلب والعقل حاملةُ طبائعهما وخصائصهما))[25] ، وقد أحسّ كثير من القدماء والمعاصرون بقوّة بلاغته وبيانه[26] ، ذلك أنّ احتذاءه اللفظي كان بتبعيّته المعجميّة للقرآن، وقد استمسك بألفاظه ليصوغها على وفق بلاغته بما لا يحيد عن مقاصده الرّئيسة في التربية الإيمانيّة والأخلاقية الحقّة.

نجد ذلك -على سبيل المثال- في قوله (عليه السلام):

((فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت طائفة ،وفسق وقسط آخرون، كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه وتعالى يقول:

((تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين))[27] بلى! والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم ،وراقهم زبرجها))[28].

فالإمام علي ناطق رسمي باسم الحقّ ، وهذا ما أثبتته الحوادث كابتلائه –هنا- بهذه الطوائف الثلاث التي لم تستمع إليه،وهو يورد أعلى الاختيارات الدلاليّة من تسارع الأفعال وتصاقبها في اكتناف الحدث، واحتضانه بحيث يتمخض المجموع الكلي في خدمة الاحتذاء الأسلوبي.

أو كقوله (عليه السلام):

((تعاهدوا أمر الصّلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فإنّها ﴿كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾)[29] ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ((﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾)) [30]))[31].

إذاً هو يأتي بالمقطع النصّي في احتذائه القرآني على نحو تلقائي حيثما احتاج،ولا يقع تناشز في الأسلوب بينهما،والمقطع هنا يقارب الحكمة التشريعيّة من الصّلاة، ويحاذيها بما يكشف عن جلائيّة التشريع الإسلامي وعظمته فيها،وهذا كلّه مترافق مع سلسال علوي واحتذاء أسلوبي امتاز بهما الإمام.

فاقتباس الإمام النّصي في مكانه، وهو في مقام توكيد الواجبات، وتأدية المفروضات، وهذا يتواءم مع أهدافه التربوية في إرشاد الأمة ،والأخذ بيدها إلى العلياء؛ لعلم الإمام أنّ هذا الاقتباس هو الحجة التي لاتردّ ودونه كلّ الشواهد الباقية فيكون دليلاً معنويّاً على من يطلب الدليل.

أمّا تسلسله الحدثي في هذه التبعيّة للقرآن، فلأنّه (عليه السلام) ينصح المؤمنين على التزام الكتاب الموقوت (صلاة ربّ العالمين) بتعابير محددة قصداً ،أي: تتلاءم ومقاصده التي أسس النّص من أجلها بما لا يدع مجالاً لشاكّ في أنّ هذا القول صادر عن إمام لا تهمّه إلا مصلحة الأمّة في المقام الأول، وهذا ديدن المصلحين الذين تتساقط أهدافهم الخاصّة في سبيل أممهم.

ومن هنا تتعدّد أنماط هذا الاحتذاء ضمن المقطع الواحد دلالة على عدم نفاذ إمكاناته المتطاولة أو نضوب ذائقته البيانية الثرّة. فمن هذا الاحتذاء الأسلوبي المقطعي أو السياقي قوله (عليه السلام):

((ومنها: فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع، واعتبروا بالآيّ السّواطع، وازدرجوا بالنذر البوالغ، وانتفعوا بالذكر والمواعظ ،فكأنّ قد علقتكم مخالب المنية، وانقطعت منكم علائق الأمنية ،ودهمتكم مفظعات الأمور، والسّياقة إلى الورد المورود فـ ((**كلّ نفس معها سائق وشهيد**))[32]،:سائق يسوقها إلى محشرها؛ وشاهد يشهد عليها بعملها))[33] .

فالاستشهاد بالمواضع القرآنيّة أو نشر مقاطعها وتوضيحها بملاحق أسلوبيّة، ومحاذاة معنويّة،حتىّ تتوشح أمثولة بلاغيّة جليّة في مقاصدها واضحة في مراميها مسوقة في نسق طلبي يحثّ على الاتعاظ بها.

أمّا احتذاؤه في الدلالة الحرفيّة فإنّ الإمام- كما قلنا- هو لسان حقّ لايقع في إشكالات اللغة، فعندما يوردها في مقاصدها، ويجعلها في أماكنها باسلوب منضّد ومحبوك مقتدى به من القرآن الكريم كقوله (عليه السلام) في -التحذير من فتنة الدنيا-

: ((ألا وإنّ الدنيا دار لا يسلم منها إلا فيها ،ولا ينجى بشئ كان لها،ابتلي الناس بها فتنة فما أخذوه منها لها أخرجوا منه، وحوسبوا عليه ،وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه، وأقاموا فيه؛ فإنّها عند ذوي العقول كفئ الظلّ بينا تراه سابغاً حتّى قلص، وزائداً حتى نقص.))[34] .

والمعنى مأخوذ من دعاء أهل بيت علي -عليهم السلام-(لا ملجأ منك إلا إليك)، وهو يشبّه التّخلص من مهالكها بدوائها نفسها ، ودواؤها التقوى،ولا إشكال في ذلك.

أو كقوله (عليه السلام):في بيان صفات الحقّ جلّ جلالة ثمّ عظة الناس بالتقوى والمشورة:

((قد علم السّرائر،وخبر الضّمائر له الإحاطة بكلّ شيء، والغلبة لكلّ شيء، والقوّة على كلّ شيء)).[35]

وأورد الإمام هذه الأوصاف المتلاحقة لتوضيح الصّفات الالهيّة المطلقة والمهيمنة على كلّ شيء،لأنّ الله سبحانه هو خالق كل شيء،وعندها نلحظ الدقة الفائقة في الدلالة الحرفيّة بما يلائم الجرسيّة المكانيّة هذا أوّلاً،والمحاذاة الأسلوبيّة ثانياً،والوضع المحيط بالحدث أو أسباب الخطبة ثالثاً.

إذاً:هذه الدّلالات الحرفية تدعم القصديّة المعنويّة للخطبة، والدليل من واقع اللغة، لأنّها تقلب المعاني رأساً على عقب.

أو كقوله (عليه السلام): (نصائح للناس):

((ألا وإنّ القدر السابق قد وقع، والقضاء الماضي قد تورّد، وإنّي متكلم بعدّة الله وحجّته قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ))[36] .

وقد قلتم (ربنا الله) فاستقيموا على كتابه ،وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصّالحة من عبادته ثمّ لا تمرقوا منها ،ولا تبتدعوا فيها،ولا تخالفوا عنها فإنّ أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة))[37].

.فهذه نصائح علويّة متبلجة في سلوك الطريق المنجي من عقوبات يوم الدين بهذه الدلالات المحكمة الدقيقة، فقوله:لا تمرقوا منها: أي لا تخرجوا، وقوله: لا تبتدعوا فيها: أي لا تتصنّعوا بدعاً تخالف شريعة السماء، بل التزموها وقوله: لا تخالفوا عنها،أي: لا تنحرفوا، ولا تزايلوا. فأهل المروق هم القاسطون المارقون عن رمية قوس الدين، وهذه الحرفيّة القصديّة عند الإمام عفويّة، وقد جاءت في مواقعها منسجمة رائقة.

ولمّا كان الإمام (عليه السلام) يستلّ من الكتاب ألفاظه ومقاصده فإنّ أقواله بذلك تفسّر آيات الكتاب ،لأنّه عدله، وهو الأقرب في كشف عدله الآخر،وقد أجاد في استبيانه،ليجعل من كلامه-على إيجازه- استعراضاً بلاغيّاً وكشفا دلالياً؛بل هو أفضل الوجوه لتوضيح الدّلالة القرآنيّة .

فمن ذلك قول الإمام علي في دلالة (الموت):

((واستعدوا للموت فقد أظلّكم))[38] وقوله:

((واعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة، وأنّ الخالق هو المميت..))[39] وقوله:

((واعلم أنّ الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم))[40].

وهذه مستلة من قوله تعالى: ((قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ))[41]. وقوله تعالى: ((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))[42].

وقوله تعالى: ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ))[43]، وغيرها.

ويؤكد هذا الاستدلال على نكتة مهمّة هي في صميم العقيدة الإسلامية مفادها :أنّ الإمام ينبغي أن يوضّح مقاصد الكتاب كشفاً وبياناً : تفصيلاً بعد إجمال، أو تبيناً بعد إبهام،أو تخصيصاً بعد إعمام وغيرها، وعلى ذلك فالعلاقة المعنويّة بين أقوال الإمام والآيات واضحة تكمن في استيفاء الموت بأيّ زمان أو مكان كان فلا يخطئ مطلوباً، ولا ينسى أحداً ،لأنّكم بقيد يده. وطلبه الحثيث يعني: أنّه لا يملّ ولا يكلّ حتّى يستوفي الجميع.

إذاً يحتذي الإمام حذو القرآن، ولا يخالفه ،لأنّ الحق صنو للحق لا تخالف فيهما-إنّما يقع الاختلاف عند المبطلين - وهذا قانون عقائدي يدلّ على أنّ بلاغة أصحاب الحق واحدة جامعها الفيض القرآني ،وأنساقه المعجزة. أمّا أصحاب الباطل فمذاهب شتى وأنحاء مختلفة.

فنجد أنّ بإمكان الإمام أن يورد تفسيراً أو وجهاً آخر لمعنى النّص يبيّن فيه مقاصده- ذلك أنّه يتزعم بلاغة أصحاب الحق في بلاغاتهم عدا الأنبياء والمرسلين،لأنّه تتلمذ في بطانتهم- كما في قوله (عليه السلام):

((فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته ،وتنفصم عروته ،وتعظم كبوته، ويكن مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل))[44] .

فمآله إلى الحزن والعذاب لأنّه طريق ضلالة وانحراف عن مقاصد السّماء ،وهذا المعنى ينسجم مع أصل الآية: لقوله تعالى :((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ))[45] .

من هنا كان الإمام طالباً للمعاني محتذياً صياغتها على أكمل وجه،فالخسران الذي استله من الآية لا يتمثل عنده بالجانب المادّي أبداً؛بل إنّ الانحراف عن جادة الدّين القويم ومجانبة الصّراط هو عين الخسران والضّلال البعيد.

ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام):

((اعملوا -عباد الله- أنّ عليكم رصداً من أنفسكم ،وعيوناً من جوارحكم ،وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم، وعدد أنفاسكم لا تستركم ظلمة ليل داج، ولا يكنّكم منهم باب ذو رتاج ،وإنّ غداً من اليوم قريب)) [46].

هنا رقابة ذاتية ،ولكنّ القرآن يعبر عنها بـ(رقيب عتيد) لقوله سبحانه :((مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[47]،فقد استلّ الإمام جانباً مضمّناً من هذا المعنى البلاغي المعجز لقول الحق سبحانه وتعالى بما لا مزيد على تبيانه بحيث لا يحتاج إلى إفاضة في الشرح، وهو بذلك صنو الكتاب حقاً وتحقيقا ،لمقدرته في إعادة تشكيل النّص، وهو لم يخرج عن مقاصده السّامية التي احتواها، وكيف يخرج وهو المؤتمن عليها والحافظ لتعاليمها.؟

أو تّضمينه من كلام رسول الله الذي يشير إلى نكت أخلاقيّة وتوجيهات نبويّة، وهو يشبعها إيضاحاً وتبياناً كقوله(عليه السلام): ((فإذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه، وإذا رأيتم شراً فاذهبوا عنه فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول: (يا ابن آدم :اعمل الخير، ودع الشّر، فإذا أنت جواد قاصد) [48].،لأنّك إذا عملت الخير فإنّك على الطريق الواضح الذي يوصلك إلى أسنى المقاصد وأسهلها،أي: تعرف هدفك فتسير نحوه.

وكذلك في استبياناته الإيجازيّة المفعمة بالتّوحيد ،وهي متفرّدة في كلّ مضمون النّهج،فالإيجاز عنده (عليه السلام) مشتق من الإيجاز القرآني أسلوباً تتبعيّاً، وعدم الخروج عن سبيله المنشود، ولذا صحّ أن نقول: (علي ترجمان القرآن في نهج بلاغته ،وهذه هي مهمّته في التوضيح والإبانة).

ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام): ((الزّهد كله بين كلمتين من القرآن .قال الله عز وجلّ : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ))[49]))[50]. فقد جاء تثويراً أسلوبيّاً في استيجازه الشّديد الذي يلمّ بأطراف القضيّة في نقطة واحدة ،وذلك في ستة إجراءات بلاغيّة بسطر واحد، وهو مصداق خير الكلام ما قلّ ودلّ ،والمعنى: إنّ لباب الزهد هو في عدم الانغماس بملذات الدنيا وحقيقته في ألا ينفعل القلب بمتغيّراتها سلباً أو إيجاباً.

أو في دلائله الكلاميّة الموجزة بما أورده في الذات الالهيّة أو الصّفات لقوله (عليه السلام): ((الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون ،ولا يؤدّي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم ،ولا يناله غوص الفطن...)) [51].

وعلى الرغم من أنّ تفكيك النّص هنا ليس سهلاً، فذلك لأنّه بصياغة متميزة تشتمل على الأسرار بألفاظه لتتوالى عندها الصفات، وتتابع الأفعال بما يعطيها رسوخاً ملزوماً بأعنّة الكتاب، ومستنداً إلى أساليبه البيانية المعجزة اتساقاً مع قوله سبحانه وتعالى: (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [52] ،وانطلاقاً من المدح بهذه الصفات ،والتسارع حذواً بتثبيت الجانب التوحيدي في هذه الخطبة.

أمّا التقابل البديعي الذي تفرّد به الإمام فهو جمعه بين المتناقضات كقوله (ع): ((قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة، وتأخير محلة، أو روّوا السّيوف من الدّماء تروّوا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين))[53].

فهنا تشابك الموت والحياة عند استلزام الكرامة لذلك، فإن كنتم أحياء مقهورين (أذلة ومستضعفين) فأنتم موتى حقيقة، وبالتّعاكس التقابلي: إن متّم وأنتم قاهرون (مجاهدون وشهداء) اكتسبتم عزة الحياة لكم ولقومكم، وكلاهما إلى الموت ،وشتان ما بين الاثنين. أوكقوله (عليه السلام):

((فيا عجباً عجباَ –والله- يميت القلب، ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم ،فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ،ولا تغيرون وتغزون، ولا تغزون، ويعصى الله وترضون)) [54] .

وهنا طابع ثابت من الإمام في وصف أهل العراق،ذلك هو كلام القاصد الذي يجعل كلّ كلمة تسير إلى مراميها بدقة وعدالة ناضجتين،وبذا فهو يتّسم بالتشكي والمرارة أوّلاً،ومحاكاة الأسلوب القرآني ثانياً..

وهذا التقابل في الصّياغة يعطي انشراحة جميلة للإبانة، ونافذة وضّاءة للكشف، ممّا يسمح باستيعاب أعلى للنّص،وإمكانية تفكيك لا نهائي له.

وقوله (عليه السلام) :((أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم ،المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم صاحبكم يطيع الله، وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه...))[55].من هذا الباب،إشارة إلى أنّهم أموات ؛ بل بحضور أبدانهم، لأنّ الموت مرتبط بغياب العقول، إذ يرتبط هذا المعنى وينسجم مع قوله تعالى:((. .إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً))[56] ،والشاهد أنّ الدابة حاضرة بجسمها ،وكذا ميّت الأحياء حضور بدني حيواني فقط ، أمّا الانسانيّة عنده فغائبة ،وهي التي تتمثل بفطرته السّليمة وعاقلته وحكمته.

إذاً هذه التقابلات بليغة واضحة في تسلسل معرفي وإبانة دلاليّة ، فهي تفضي بالإمام إلى كشف مآربه في أسرع موقف، لذا كانت من سمات خطاباته المتفرّدة، ورسائله المطوقة بأرقى الأنماط البديعيّة- وإن بدا فيها من السّجع- فالإمام يتعالى على ذلك، لأنّ أسلوبه استرسالي عفوي يتطلبه وسخيمة قلوب الحاقدين في عدم إعطاء حقه، وقد رفض باطلهم في معرض تبيانه للحق.

@@الصّور البيانيّة:

أمّا صور الإمام البيانيّة فقد اتبع فيها التّصوير القرآني أيضاً، ذلك بأن يكون نصّه في خدمة ذلك النصّ المعجز لهداية الناس وإرشادهم كبقيّة أنساقه الخطابيّة العفويّة.

فمن صوره التشبيهيّة قوله -عليه السّلام-:((سيأتي على الناس زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإناء بما فيه))[57]. دلالة على أنّ الناس تبتعد مع مرور الزمن عن الإسلام الحق،وهذا الإجراء هو بمثابة انكفاءيتها عن تقبله، وتمسّكها بزخارف الدّنيا وزينتها.

ومن هنا فالصّورة انقلابيّة تمثل تغيّر مفهوماته، وتعاكسها ليس حقيقة؛ بل نتيجة التّعابث الذي أصاب أهواء النّاس وميولهم مع نزقاتهم وشهواتهم المنحرفة،لذا يقول العلوي:ومعناه:((أنّه ينقلب ظهراً لبطن في انعكاس حاله، وانقلاب أمره)) [58] ،فيكون عندهم الحلال حراماً،والأمين خائناً، والكاذب صادقاً،والفاسق محترماً..

ومن بليغ الاستعارة في هذا الباب قوله -عليه السلام-:((وأيم الله لأنصفنّ المظلوم ، ولأقودنّ الظالم بخزامته، حتىّ أورده منهل الحق، وإن كان كارهاً))[59].يقول العلوي:

((وقد اشتملت على استعارات ثلاث:الخزامة ،والانقياد،والمنهل،وما أعجب توشحها في قالب نظمها وحسن سياقها،فإنّه لمّا ذكر الانقياد عقبه بما يلائمه من الخزامة،ولمّا ذكر الورود عقّبه بما يناسبه من المنهل...))[60].والمعنى: إنّ أخذ الحقّ من الظالم وتسليمه كاملاً

للمظلوم هو القود، أي: الأخذ بالقصاص بحسب التشريع الإسلامي. والخزامة هنا تشبيه استعاري رائع، لأنّها على المستوى المادّي هي: الحلقة في شفة البعير، ويقاد منها . وهكذا يفعل علي في قضائه بين الظالم والمظلوم،حتى يرجع الحقّ المغصوب كاملاً إلى صاحبه فتنتهي مهمتّه في القود القضائي، لذلك قال (منهل الحق).،أي: الوصول بالقضيّة إلى غايتها النهائيّة،وهي البتّ بالحكم الشرعي، ووضع الميزان الحقّ بين الظالم والمظلوم.

ومن مناسبات هذا النّص وتعقيباته نلحظ أنّها تأخذ بعداً تصويرياً آخر هو أنّ الناقة عطشى لمنهل الماء ،وعند تسقيطه على القضاء يتبيّن لنا أنّ المظلوم متعطش لنيل حقه على يد الإمام.

ومن هذا الباب أيضاً قوله (عليه السلام):

((ألا وإنّ الشيطان قد جمع حزبه ،واستجلب خيله ورجله وإنّ معي لبصيرتي ما لبست على نفسي، ولا لبس علي ،وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه! لا يصدرون عنه، ولا يعودون إليه)) [61].

أي أنّ هذا الشيطان لم يستطع أن يتناوشني بوسواس أو نزغ، وهنا قسم علوي بأنّه ثابت وراسخ على مبادئه بعدم المداهنة مع اليد الباطلة.

إذاً الخيل والحزب والرجل وجمع العساكر هي القوّة الشيطانيّة الدّاعمة، وهنا يوضّح الإمام أنّ قوة الشّر لها عدّة وعتاد حقيقيّين، ولكنّه مستبصر فلا يقع في حبائلهم، وهو يوضّح مكائدهم للناس. ويزيد القرآن صفة أخرى على هذه القوّة بقوله تعالى: ((واستفزز من استطعت منهُم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم . . .)) [62] . وعندها فكلامه مستلّ من القرآن في إضاءة المملكة الشيطانيّة، وهو (عليه السلام) بذلك لا يداهن، وكأنّه يقول: لا أدخل مداخلهم، ولا أشرب مشاربهم؛ بل سأملأ حوضاً أنا نازح ماءه من البئر، وهو حوض البلاء والفناء ،أو أنا الذي أسقيهم منه المنيّة.

ومن هذا الباب أيضاً احتذاؤه الأسلوبي بالمثل، واستشهاده بالشّعر والقصّة على نحو من الفصاحة التي لاتكلف فيها:كقوله في سبب البلوى :

((أمّا بعد،فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تورث الحسرة ،وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ،ونخلت لكم مخزون رأيي ، لو كان يطاع لقصير أمر؟ فأبيتم علي ّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة حتىّ ارتاب الناصح بنصحه، وضنّ الزّند بقدحه.

فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتُكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النّصح إلاّ ضُحى الغد)). [63]

وقد احتذى الإمام باسلوب القرآن، لأنّه يعلم أهميّة ضرب أمثال قبل الإسلام في الاستدلال والتبيّين، لذا سخّرها في خطبه،فهنا الشاهد أنّ(قصيراً)كان حكيم قومه، وهو مولى جذيمة الأبرش وقد أشار عليه بألا يأمن الزباء فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته، ثمّ

زالت دولتهم بموته فذهب مثلاً :دلالة على عدم سمع النصح والإرشاد[64] ،وكذا استشهاده بشعر تلك الحقبة ودلالاتها توشيحاً لخطبه بثقافته اللغوية الأولى ، ومخزونه الدّلالي العتيق، ليصبّ في الحقل البياني نفسه، على أنّ الأقوام تفقد عزّتها عندما تخرج عن أمر حكمائها وقادتها المستمسكين بأهداب الحقّ والحكمة..

وهكذا يكون الكبار عندهم خزانة كبيرة،فكأنّه غير متقصّد، وهو يحاول أن يحلي كلامه، ويوضّحه فيورد آيات القرآن ،ويستعمل نصوص الحديث، ويستشهد بأبيات الشعر ،وهي كلها تحقق غرضه في الهداية والإبانة من جهة،وتنويع متعة المتلقي ،وإغناء النصّ الملقى من جهة أخرى.

ومن ذلك أيضاً: تكراره المؤكّد المبين كقوله (عليه السلام): ((انتفعوا ببيان الله ،واتعظوا بمواعظ الله، واقبلوا نصيحة الله فإنّ الله تعالى قد أعذر إليكم بالجليّة، واتّخذ عليكم الحجّة...)) [65].

وهو تكرار دقيق في المناسبة والمقتضى، أي: هذا هو القصد، وتلك المواعظ والنصائح هي الحقّ ،وما عداها يترك أو الباطل، ومن هنا قد يكون هذا التكرار ملزوماً بأعنّة الأسلوب الالتفاتي بين الاتصال الزّماني فيما مضى وما أقبل،وهو من الأساليب المبدعة في ربط عدّة أزمنة واستعراضها في سياق واحد،وهو يستند إلى خبرة بلاغيّة فائقة، واقتدار لغوي عميق كما أنّه لا يقتصر على الأزمنة فقط ؛بل على التفاف الأفعال أيضاً، وهذا ممّا يكثر تواردة في النّص القرآني ،ذلك ما جعل الإمام ((صادقاً في جميع الأوجه والمناسبات،لأنّ أفكاره كانت تشقّ الطبقات الكثيفة والزيادات والتلافيف التي تحول بين الناس والحق))،[66] كقوله (عليه السلام) في توبيخ الخارجين عليه:

((مالي ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين، وإنّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم !))[67] والمعنى: إنّه يتأوّه من شدّة نفاق المجتمع القرشي وزوغانه عن الحق والتحقيق،فهم بالأمس كفار ماحقون ،واليوم يدّعون الإسلام منافقين ،وفي الحالين يقف الإمام(عليه السلام) بوجههم مقاوماً نزعاتهم الشيطانيّة، ونزغاتهم التسلطيّة، متوعّداً غاصبي حقّه؛ أنّه صاحبهم في المنازلة بالأمس واليوم.

ومن ذلك أسلوبه القصصي السّردي، وهو أوسع المساحات انطباقاً على بلاغة البشر، لأنّه هو المنطلق المسوّغ لاستشهادات الإمام في نهجه، وعندها كان استشهاده بالآيات في معظمه قصّياً، لأنّها شواهد للاعتبار، ومواضع للادّكار، إذ يتواصل الإمام مع النّص بنفس متواتر حتىّ يشبعه إتماماً، ويقوّمه إكمالاً ،ولا يتركه إلا وهو قطعة فنيّة متكاملة فيسهب أو يوجز حينما يتطلب النصّ ذلك، وهو في الحالين عالي المكانة ،لأنّه اقتباس واضح من النّص القرآني كقوله:

((اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض، وفرّخ في صدورهم، ودب ودرّج في حجورهم ،فنظر بأعينهم ،ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل...))[68].

وهنا تفصيل وتفريع بعد إجمال وإختزال أي: أنّ الإمام لا ينقطع في أسلوبه؛ بل يتواصل حتىّ تمام المقصد والبغية.

إنّ الإمام (عليه السلام) قد استل هنا مضمّناً الصّورة القرآنيّة لمداخل الشّيطان، ومراصده الخفيّة فآليّة الشيطان تلبسيّة تجعل المتلبس به مقوداً لما يريده الشيطان حتىّ يصبح هو هو فعلاً لا وجوداً.

لذا فالصّورة التي رسمها الإمام تدلّ على مدى تمكّن الشيطان من قلوبهم وإنّ تفريخه وعشعشته في صدورهم تمكن تام، إذ لا يستقر الطائر إلا في عشه ولا يبيض إلا في مأمن أمين.

والمعنى: أنّه اتخذهم الشيطان ملحقاً ورديفاً وتبعاً أو اتباعاً فكما وصفهم القرآن الكريم: هم من ((شياطين الإنس والجن))[69] .

ومن هنا ولشدّة تمكنه فيهم ((وامتزاجه صار كمن ينظر بأعينهم ،وينطق بألسنتهم أي:صار الاثنان كالواحد))[70]، وعندها أصبحوا أدوات له في البصر والتجسّس والترصد والنطق ولأذى الناس.

وهذا من التّخييل كما يقول يحيى العلوي إنهّ: ((تصوير حقيقة الشئ حتّى يتوهّم أنّه ذو صورة مشاهدة وأنّه مما يظهر في العيان وهذا كقوله: نظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم...))[71]

بمعنى :أنّه تعبير بالصّورة المرئية فكراً بإسناد الرؤية العينية، وهو أكثر اقتراباً من الحدث الحسي الحقيقي. فالشيطان يقارن بالطير فكما أنّ الطير يبيض، ويعشعش، ويستقر في أكنانه كان هكذا الشيطان وأكنانه قلوب البشر الضّالة... وهل البلاغة إلا التصوير.؟.

ومن هذا الباب أيضاً قوله-عليه السلام-:((الحمد لله الفاشي حمده والغالب جنده والمتعالي جدّه))[72].

وقد اختلف علماء البيان عن المتكلمين في تأويل هذا الجانب،إذ تناولوها من باب أقرب لما كانت دالة على ما وضعت له في الأصل من غير عدول ولا مخالفة وإن جاءت فهي من جهة أنّ الجارحة خياليّة من دون أن تكون حقيقية.

أمّا المتكلمون فقد حملوها على تأويلات بعيدة حذراً من مخالفة الأدلة العقليّة من الأساس، ومن ثمّ تصادمها مع الثوابت العقديّة،فهم يرون أنّ الشريعة تتأبّى على مثل هذه المعاني، وخاصّة في صفات الله ،لأنّه ليس له جارحة مثلنا ،ولأنّ تخيّلنا ذلك يوقعنا في الإيهام.[73].

ونخلص بالقول إلى أنّ التخييّل قوّة استودعها الباريء في الذهن البشري فيستحيل أن تكون من مخلوقاته، وتكون عبثاً ،بمعنى أنّ لها فوائد، ولكن الإفراط في استعمالها يؤدّي إلى أخطاء وأوهام،لذا فهو جائز وحده شريطة التزام اللياقة عند حدود الصّقع الرّبوبي ،بتنزيه صفاته سبحانه وتعالى عن مقاربة مخلوقاته..

ومن التّصوير الكنائي في هذه الباب وصف الإمام مبايعة الأمّة الإسلاميّة له بالخلافة بألفاظ مختلفة كلها دالة على نهاية الذمّ لهم، منها قوله: ((وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثمّ تداككتم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها...))[74]. والغرض الكنائي هو((الاحتجاج على المخالفين بأن ّالأمة بايعته مختارة))[75]،لعدم قبوله بها

أوّلاً،ولكن عند وقوعها لزمه تسنّم الأمر،لأنّ الإمامة مشروطة بالبيعة ،فعليه أن يطيع الأمّـة، وعليها أن تذعن له في القيام بأعباء الحاكميّة لله عليهم ..

ويتجلى التّصوير البياني كذلك من جزالة السّرد المستمكنة،وقصـدية الـنصّ البالغـة :اللتـين تبديان على نحو واضح في تدفق الأفعال ،وتموّج الصّفات خلال سموّ الـنّص الملـئ بالوعيـد والترهيب، لاسيما في مشاهد البعث، وقد استلها من القرآن علامة من علامات الرّاسخين في العلم أو حملة الكتاب لتوضيح مقاصده، وإبانة مفهوماته، بقوله (عليه السلام):

((حتى إذا تصرّمت الأمور وتقضّت الدّهور، وأزف النشور أخرجهم من ضـرائح القبـور وأوكار الطيور، وأوجرة السباع ،ومطارح المهالك سراعاً إلـى أمـره مهطعين، إلـى معـاده، رعـيلاً صـموتاً، قيامـاً صـفوفاً ،ينفـذهم البصـر، ويسـمعهم الـداعي علـيهم لبـوس الاسـتكانة وضرع الاستسلام والذلة، قد ضلت الحيل وانقطع الأمـل ،وهـوت الأفئـدة كاظمـة، وخشـعت الأصوات مهيمنة...))[76] .

ونلحظ هنا تسلسلاً تصريفياً رائعاً،تأتّت قوّتـه التّصـويريّة مـن القـوّة العاقلـة المتحللـة عـن الواهمة عند الإمام ،وهي عاقلة منزّهة عن الوهم، والدّليل جمـال تصـويرها الـذي لا تشـوبه الانخداشات الوهميّـة والسّـرابيّة المشـوّهة للتّصـوير،وهو فـي ذلـك لا يرقـى إلـى الأسـلوب القرآني وصياغته المتفرّدة، في الوقت الذي يستمد منه مصادر بلاغته وإفاضاته.

فالأفعال المتلاحقة بجمال تسلسلها وحقائق سردها هـي مـن البيـان الحـقّ فـي صـدقه، وقـد خلب الأسماع فيها التعاقب الجرسي للوقع الصّوتي، وهـو إيقـاع رهبـاني متلائم مـع أصـداء البعث والنشور بانسجام تلقائي، ليبلغ بتأثيره مبلغ النقعة، ويوصـل بمـؤدّاه إلـى حيـث البلغـة، لأنّه نـابع مـن شـفافيّة نفـس متعلقـة بـالملكوت الأعلـى، وهـي تـتكلم بانكشـاف تـامّ وتجليّـات مشرقة.

ومن هذا الباب قوله في دفن زوجه الزّهراء(عليهما السلام):

((السّلام عليك يا رسول الله عني، وعن ابنتك النازلة في جوارك،والسّريعة اللحاق بك !...

وستنبئُك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها،فأحفها بالسّؤال،واستخبرها الحال،هذا ولم يطـل العهد، ولم يخل منك الذكر....))[77].

إذاً من ناحية الاحتذاء أمر مسلم في اليقين الإيماني عنـد الإمـام بأنّـه سـيلتقي بهـم، ويعامـل هذا الأمر على نحو التحقيق.،وهو هنا يستفجع لفقد الأحبـة: أسـتاذه "محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم))"ثمّ ابنته الطاهرة(عليها السلام) ،وتركه يصـارع طواغيـت الباطـل وحده،ناهضـاً بمهمّـة تنوء بحملها الجبال.

كما استوفى الإمام (عليه السلام) في تتبّعه تفسير الظاهرة الكونيّـة المتمثلـة فـي ثـلاث منـاطق محدّدة وهي: (السّماوات والأرض) و(الشّمس والقمر) و(الليل والنّهار).

وقد أبان عن هذه الآيات لترسيخ النكتة الإيمانيّة،وهو سابق في هذا الباب لاستجلاء كمـائن الغيب العلميّة، وهو يتكلم بما يناسب المقام، إذ كان اهتمامه تبعاً لاهتمام الكتـاب المبـين الـذي تناولها على نحو من التفصيل والإجمال في تثوير هذه العلـوم المـدّخرة وإخراجهـا إلـى حيّـز

الواقع، لاسيما وأنّه يرتشفها من رحيق مختوم لا يمسّه إلا المطهّرون، فمن ذلك قوله في صفة السّماء:

((فمن شواهد خلقه خلق السّماوات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فأجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ،ولا مبطئات...)) [78] .

ولمّا كان الموضع به حاجة الى توكيد، وهذه مسلمة لكن ذكرها بمعنى قريب يفيد تعزيز السّياق ومن ثمّ ترسيخ مقاصده،وعليه يقول العلوي:((فالقيام والتوطيد ،وقوله بلا عمد،وقوله بلا سند،متقاربة في المعنى يجمعهنّ جامع التوكيد المعنوي))[79].

وقوله فيها أيضاً:

((وناداها بعد إذ هي دخان ، فالتحمت عرى أشراجها ،وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها، وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها،وأمسكها من أن تمور... وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره، وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوّة من ليلها...)) [80].

إذ نجد أنّ هذا التدرّج في السّرد العلمي هو السّمة الرّئيسة لخطابه المستوعب الذي يجري على غرار النّص القرآني ،وقد تشكلت مفرداته الأساس البنيوي للحركة البلاغيّة داخل النّص، فهو ينبسط في إيضاح الآيات الكونيّة والبيّنات العلميّة باسلوب متواصل غير منقطع...

قال تعالى ((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...)) [81].

وقال تعالى :((ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)) [82] .

إذاً فالحقل العلمي يمكن تبيانه بالتّصوير الشائق الرّائق كما فعل الإمام في استعراضه لبعض الظواهر الطبيعيّة والكونيّة، ولكنّ هدفه إيماني وأخلاقي بحت من خلال انبهار النفس بكمال الصنعة وصولاً إلى كمال الصّانع، وهنا تكون البلاغة هي تعدّد الصور مع وحدة المعاني والجامع هو: (القصد القرآني).

ويستوقف الإمام الباحث في هذا الحقل نظراً لضخامة الرّصيد العلمي عنده، وإن لم يتمكن من إظهاره لدى قوم تعمّهم الجهالة، وتسودهم العماية ،بسبب تعلقهم بالدنيا وزخارفها.

ويقع في هذا الباب تطلعاته الاستشرافيّة المستوحاة عقائديّاً من النصّ القرآني لعلوم ما بعد عصره من الاستشراف والملاحم،وهي متسقة ضمن إيتاء الحجّة لهذا الإمام على أمّته الذين يسمعون، لأنّه صدق في كلّ ما قال، ولا يكون كذلك إلا لكونه حجّة بالغة على الخلق أجمعين. كقوله (عليه السلام)، وهو يذمّ أهل البصرة بعد موقعة الجمل:

((وأيم الله لتغرقنّ بلدتكم حتى كأنّي انظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة ،أو نعامة جاثمة)) ،وفي رواية كجوجؤ طير في لجّة بحر)) [83] .

وهذا توضيح مستقبلي لملاحم قادمة أو قابلة،وقد بدأه (عليه السلام) بقسم وتوكيد نتيجة رؤيته الصّادقة، ونظرته الثاقبة لمستقبل الأيّام والأحداث،لأنّ عليّاً لايتنبّأ كالمتنبئين ؛بل ينظر كالناظرين،ينظرها أموراً واقعاً واستشرافاً حاصلاً، لذا كان يعلم بضربة ابن ملجم على أمّ

رأسه،أي: يعلم بمصرعه،ووقع أيضاً ما تنبّأ به بقوّة الإيمان بعد مئتي عام،وهذه النظرة من المنح والرّواتب الالهيّة المتزايدة.

وهنا يقول ابن أبي الحديد ((والصّحيح أنّ المخبر به قد وقع، فإنّ البصرة غرقت مرّتين: مرّة في أيام القادر بالله، ومرّة في أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر.. وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقلها خلفهم عن سلفهم)) [84].

أو كما في تحذيره العرب من الفتن وتخصيصها بهم،لأنّهم هم حملة الرّسالة المحمديّةالعالمية بعد أن نقلت إليهم هذه العهدة الدينيّة من بني إسرائيل، بمعنى أنّ الله سبحانه لم يجعلها إلا في هاتين الأمّتين، تفضيلاً منه سبحانه ،وهذا كله متحصّل من منطق القرآن لقوله تعالى:((إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين*ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليم)) [85]

،وهي: الأولى:آل عمران ،وهم بنو إسرائيل ،وقد جحدوا بها فأحالها إلى الثانية ،وهي أمة العرب ووصفهم بالأمّة الوسط، ولكنّهم أيضاً انحرفوا عن مهامها، فتوعّدهم بسيف السّماء المنتقم، إشارة إلى الخط الغيبي المعبّأ لحفيده آخر الزمان بالظهور، والدفاع عن بيضة الإسلام ،وابتلاءات العقيدة.... بقوله:
((ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النقمة ،وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها وانتصاب قطبها ،ومدار رحاها تبدأ في مدارج خفيّة وتؤول إلى فظاعة جليّة....)). [86]

@@@المزايا الإبداعيّة:

أمّا براعة الإمام في إبداعه البلاغي فقد تجلت في وقوعه بين الابتكار النّصي، والإعجاز القرآني، فمثلت حلقة الوصل و حال الإبداع ،فحينما نقول بالابتكار نعني: استخراج مكامن القوّة في النّص، ونعني بابتكار الإمام: استخراجه مكامن تلكم القوّة، ذلك أنّه يبتكر في نهجه صيغاً معبرة عن النّص القرآني،مستلة منه، وشارحة له،وهي لا ترقى إلى الإعجاز أي: لا يمكن مساواته بإعجاز القرآن ؛بل كان إبداعه على قدر طاقته،وهو امتياز تقاربيّ للغة القرآن من دون تكلف أو تعمّد جعلته((يتمتّع بسلطة فائقة محكمة نادرة وهي تحيل القارىء (والسّامع) إلى أنموذج العلاقة بين الأفكار والأسلوب)). [87]،في الوقت الذي منحه ذلك الاقتراب من غاية الإعجاز حريّة انتقاليّة في التعبير يضمّ إليها الحوشي، وغير المأنوس أحياناً مع بقاء نصّه راقياً عالياً.

لذا فتعريف عبد القاهر للبلاغة والبراعة كما يورده الدكتور أبو موسى بحسن الدّلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثمّ تبرّجها في صورة هي أبهى وأزين إلى آخره..ثمّ يعلق عليه

فيقول:((تعريف دقيق جداً،لأنّه موجّه إلى الدّلالة، وليس موجهاً إلى اللفظ ولا إلى المعنى))[88]، وهي إشارة إلى تفوّق النشاط الذهني ،وعندها: فاستيفاء الدلالة يتأتّى من سبك الصّنعة على نحو جيّد، وإقامة المناسبات في مواضعها ،كما أنّه يتطلب كونها تتوارد في مجالها، وتلملم شواردها، وهو ما يعطيها مسحة جماليّة رائعة كما هو الحال في كلّ نصوص الإمام (عليه السلام).

ولمّا كان الإبداع رتبة وسيطة بين الابتكار والإعجاز، ونظراً لوقوع كلام الإمام دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق فإنّه بحقّ في مرتبة الإمامة التي تنقل التربية السّماويّة إلى التكليف الأرضي ،وعندها فمنصب الوصاية الذي تحلى به هو ما فرض عليه إبداعاً من نوع متميّز هو إبداع الوصيّة ،وهو إنّه لما استحقها إلا لأنّه مبدع في ذاته وفي وصايته فنهض بها أبدع نهوض، وقام بأدائها حق أدائها ،لأنّه أحقّ من غيره، لأنّ ((المبدع يظلّ سابقاً للناس يفوتهم، ويقصرون عن اللحاق به ، وهذا وجه الإعجاز الممكن في الإبداع البشري)) [89].

وكان له ذلك نتيجة توثيقه العرى مع القوة المطلقة في الكون ،تلك القوّة التي وهبته هذه الإمكانات، وعليها المزيد.

فمن ذلك خياله المبدع العبقري الأخّاذ المنضبط بالحقيقة الالهيّة ،وهو ما يتضح من تعددية الصّور عنده، لأنّ المخيّلة هي منشأ الكثرة اللغوية..وهنا يقول جرداق:((فالمعنى مهما كان عقلياً جافاً لا يمرّ في مخيلة علي إلا وتنبت له أجنحة تقضي فيه على صفحة الجمود، وتمدّه بالحركة والحياة)).[90]

ومن تصويراته المتحرّكة في هذا الباب:تصويره لبيوت أهل البصرة ومدّى تكلف أصحابها في تزيينها،وهو تصوير يرافقه ذمّ واضح إلى حال الإتراف والبذخ بقوله:

((...ويل لسككم العامرة ،والدّور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور ،وخراطيم كخراطيم الفيلة..))[91].

وهي صورة تشبيهيّة متحرّكة بالقوة الخياليّة، لإثارة الهواجس في النفس الإنسانيّة بأكثر ممّا تثيره الصّورة السّاكنة،لأنّ تخيّل هذه السكك والدور، وهي بهذه الحال تختلف عما هي ثابتة،لأنّ الحركة للصّورة إحياء لها.

لذا كانت بلاغته الفائقة نتائج عوامل الرّسوخ الإيماني والاقتداء القرآني، وقصديته حبّ الإصلاح وتوجيه الناس للخير فضلاً عن ملكته الشريفة، وموهبته الذاتية المتمثلة بخزينة اللغوي الوافد، وجعبته البيانية المفعمة.

من ذلك وصفه (عليه السلام) أصحابه في صفّين حال البيعة ،وهم ملهوفون إلى ورود ضفة الحقّ بعد أن ذاقوا وبال الظلم على يد من قبله،في الوقت الذي أجال فكره في هذا الأمر،وأنّه ما حمل إمرة الناس إلا كرهاً نتيجة هذه البيعة ، مع أنّه اختار جانب الحقّ ولو كان مرّاً، وترك مصانعة الناس متمسّكاً بعرى دينه، وخشية ربّه وإن أتوه مبايعين لقيادتهم.بقوله: ((فتداكوا عليّ تداك الإبل الهيم يوم وردها،وقد أرسلها راعيها،وخلعت مثانيها ،حتىّ ظننت أنّهم قاتلي، أو بعضهم قاتل بعض لديّ،وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعني النّوم،فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فكانت

معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب ،وموتات الدّنيا أهون عليّ من موتات الآخرة))[92].

فالموتات جمع موتة، وهي ذات بعد مجازي، فموتات الدنيا مصاعبها وأهوالها، وإنّ جاءت على الموتة حقيقة فلا يجوز أن تكون أكثر من مرّة فصارت مجازية بمسوغها. أمّا موتات الآخرة فهي عذاباتها والوقوف أمام الأشهاد وفضائح الأعمال ،وعندها يصحّ التعبير المجازي عن الاستعمالين بالدلالة على كلّ مأزق وضيق حال، وهذا من العبقريّة في الإبداع الاستعاري بحيث ينطبق تشبيهه على جميع الأحوال.

لقد مارس الإمام مع الناس صور الحياة كافّة،فهو على جبهة المواجهة مع القاسطين والمارقين والناكثين وغيرهم من أهل القبلة إبلاغاً وإنذارا،هذا من جهة،ومن جهة أخرى فهو يتولى مسؤوليّات الإمامة في نصح العامة، وتوضيح الآيات الكريمة، وإقامة الوزن بالقسط بينهم من خلال خطبه في مسجد الكوفة،فعلي-عليه السلام- أبلغ من تكلم بعد رسول الله ،وهو يسير مع القرآن اقتباساً ودلالة ليبيّن عظمة منزلته، وجليل شأنه في الدنيا والآخرة.

ومن هنا يقول الدّكتور صبحي الصّالح:((لم تكن خطبة من خطبه تخلو من وصف دقيق،وتحليل نافذ لبواطن الأشياء؛صوّر الحياة فأبدع، وشخّص الموت فأجزع،ووازن بين طبائع الرجال، وأخلاق النساء ،وقدّم للمنافقين نماذج شاخصة،وللمتقين أنماط حيّة))[93] ،.ذلك أنّ استشرافه الدّلالي كان بنفحة إلهيّة تلمّس بها طريق إعجاز القرآن،ومن يتلمس هذا الطريق يحذو حذو القرآن، ومن هنا فعليّ (عليه السلام) كان لا يأخذ منه على شاكلة الآخرين؛ بل ينهل هاضماً، ويلقي سليقة، لأنّ تزوّده بذلك تلقائي انسيابي لاتعمّد ،ولا تكلف فيه البتّة، وهذا ما أعطاه رسوخاً بلاغياً فوق قدرة البشر،وبذلك أصبح كلامه من النمط العالي الذي((فيه معين لا ينضب، وأنّ كلّ ذي فقه له فيه مورده لم يرده أحد غيره...)).[94]

وعليه فالألاء البلاغي في نصّه يمثل الإمكانيّة المتفوّقة لناطقيّته في الحدث القرآني،وذلك بمسايرة بلاغته الأساليب القرآنيّة،وهذا ما يفسّر طريقة المحاذاة عنده، وعدم الافتراق عن المجرى الإعجازي، فالنهر المحاذي للإعجاز يحاكي الإعجاز نوعاً ما.

وقلنا ممّا تقدّم إنّ النهاية في البلاغة والفصاحة متركزة في أفواه المخلصين الأنبياء والأئمة الرّاسخين في العلم -عليهم السّلام- عامة، وأهل بيت النبي(أصحاب الكساء) خاصّة،وهذا ما يستوضح أنّ هؤلاء الخمسة وحتى المرأة الطاهرة التي معهم هم على رأس قائمة من تنطق بالحقّ متبلجاً، وأفلج بالسّداد محدثاً ،وهم في ذلك قد استقوا من فيض القرآن نديّا ،وارتشفوا في مضمار إباناتهم المتفوّقة ومهامهم العليا مليّا ،فكانوا أدلّة على فصاحتة وتلمس إعجازه ....فكيف بغيرهم ممّن حادّ القرآن،وعاجز في آياته، وهم أقلّ منهم شأناً وباعاً... فلا يكون ذلك إذاً: إلا من سعة جهالاتهم ،وكثرة حماقاتهم..

ومن نماذج ذائقة الإمام البيانيّة المقتدرة المتمرّسة قوله -عليه السّلام-في وصف العترة (عليهم السلام):

((فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش))[95] يقول الدكتور صبحي الصّالح: ((أي: هلمّوا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم أي :الإبل

العطشى إلى الماء))[96]. ويقول العلوي: ((فهذا من الكلام لايدرك في البلاغة منتهاه،ولا يحرر بغاية غوره وأدناه))[97]، ممّا تعالى على مستوى كلام المخلوقين ،وحاز قدراً كبيراً من علياء القرآن، لأنّ فيه مسحة من إعجازه، ليفوز بقصب سبقها في هذا المجال،لاسيما وأنّه يبيّن واجب الأمّة في أن تطلبهم بشدة ،وتحلهم محلّ القرآن ،وتلتزمهم التزاماً ،لأنّهما لايفترقان، ولكنّ الأمّة ذهبت بهم أيادي سبأ.

ومن إبداعات الإمام قوله (عليه السلام) فيمن يتصدّى للحكم بين الأمة ،وهو ليس لذلك بأهل ((تصرخ من جور قضائه الدّماء... وتعجّ منه المواريث إلى الله.))[98] .

وهنا صورة بلاغيّة إسلاميّة مبدعة جادّة في التّعبير، وجديدة في المعطى، وهي تبيّن أزمة الحكم العادل والقضاء الفصل في الإسلام بشأن التصرّف في بيت المال ورد الحقوق.

وهي تدلّ على الإبداع العلوي، لأنّنا نسأله كيف تصرخ الدماء؟ وهل لها أفواه؟ولكن السؤال يشحب أمام تلكم البلاغة التصويرية العالية.

يقول العلوي: ((إسناد الصراخ إلى الدماء، وإسناد العجيج إلى المواريث واد من أودية الاستعارة ،والغرض المبالغة في حيفه في المواريث والدماء))[99].

فصراخ الدماء وعجيج المواريث وضجيج الحقوق كلها مقاصد دلالية للارتباك الحاصل في الجهاز القضائي في بلدة الكوفة هذا والإمام (عليه السلام) بين ظهرانيهم فكيف بهم إذا استلته سيوف الغدر والضّلالة.؟.

ولتميّز الكلام العلوي بالبلاغة العالية فإنّه كان الأقدر على استلاب مجامع القلوب في رفض الباطل واستحباب الحق على طول الخط وإنّه الإمام الجدير بهذه المنقبة،وبتحمّل المسؤوليات الملقاة على عاتقه ،ولمقارعته رؤوس النفاق والباطل في زمن الدعوة، وبعد وفاة الرسول الأعظم.

ومن الاستعمالات البديعة في هذا الباب قوله (عليه السلام): ((وأيم الله فلأ نقبنّ الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته)) [100] .

يقول العلوي:((وهذا منه تمثل لأنه يكون الحق مغطى عليه فلا يخرج إلا بالنقب والخرق والجنب :هو الجانب للشئ)) [101].

فالقصديّة في قسم الإمام من التلازم اللفظي بين كلمتي (الخصر) و(الباطل) ،لأنّهما موضع النفس، و((كأنّه جعل الباطل كشئ قد اشتمل على الحق، واحتوى عليه ،وصار الحق في طيّة كالشئ الكامن المستتر فيه، فأقسم لينقبنّ ذلك الباطل إلى أن يخرج الحقّ من جنبه...)) [102] كاملاً من دون موارية ولا نقصان.

فشقّ (الخاصرة) يفضي إلى هلاك الباطل ،وإحلال الحق محله ،وهذا توصّل بلاغي بالتشبيه التجسيدي أو التمازج البديعي للإمام، وذلك من طرف التجسيد الأقصى إلى طرف التجريد الأقصى ،وهي من فرائده وهو الرّائد فيها.

وبقرَه: شقه،والقصد في الشقّ للإهلاك التامّ للباطل ومن ثمّ إخراج الحق من خاصرته والإهلاك تامّ متكئ معنوياً على قوله تعالى ((وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ

الْكَـافِرِينَ دَيَّـاراً)) [103]، وهـي عمليّـة استئصـاليّة كليّـة، لكـي يصـفو الـدين كلـه لله سـبحانه وتعالى،أي:أنّ نوحا يدعو إلى إهلاك جميع الباطل.والإمام أيضاً ينحو المنحـى نفسـه ،ولكـن ليس عن طريق الدعاء؛ بل بحد الصّارم والفاتك الحسام.

والجامع بين الآية الكريمة وقولـه -عليـه السلام-:الإنهـاء وقطـع الشـأفة،وهي: عقوبـة الإبـادة الكاملة للكافرين بيد الأخيار وبمعونة الله سبحانه.

وقد بدا الإبداع أيضاً في توضيحه للمغزى القرآني على نحو يسـخّر أكبـر كميّـة مـن القـدر الخيالي عند الانسان،كما في مساءلته التخييليّة التي ذكـر فيهـا ملـك المـوت ،وتوفيـة الأنفس ،وعجز الخلق عن وصف الله بقوله:

((هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟أم هل تراه إذا توفّى أحداً؟بل كيف يتـوفى الجنـين فـي بطـن أمّه؟! أيلج عليـه مـن بعـض جوارحهـا؟أم الـروح أجابتـه بـإذن ربهـا؟أم هـو سـاكن معـه فـي أحشائها؟كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟!)).[104]

وهنا استظهار للقدرة الالهيّـة فـي مظـان تحققها،وخصوصـاً فـي ولـوج المـوت حتـى إلـى الأجنّة المستجنة في بطون أمهاتهم ،ومعجزة لطف الصّنع الالهي ورحمته.

ومثلما تربّع الامام على عرش الإبداع متفوّقاً في خطبه ورسائله فقد تربّع أيضاً فـي كلماتـه القصار، وها دليل على إبداعه العام، فمن ذلك قوله (عليه السلام):((قيمة كلّ امرئ ما يحسـنه)) [105].

فقد قال الجاحظ فيها:((فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافيـة ،ومجزئة مغنية؛بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصّرة عن الغاية...)).[106]

وقال الرّضي في إطرائه الواقعي عند تقييمه لهذه المقولة:

((وهي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة))[107].

فمّما لاشكّ فيه أنّ في سوق البلاغة تثمّن النصوص في حين أنّ هذا النّص لا يقدر بـثمن -بحسب قوله- فهو فوق التثمين وفوق التقييم، وهذا متحصّل مـن بعـد غـور دلالاته،وإصـابتها لمقاصد الكلام ،وأزمّة القول الجامع.

إنّ مثل هذه التقييمات موجودة كذلك عند كثير من الشراح والنقـاد ،وهـي تـدلّ علـى مكنتـه في رصيد اللغة ،ومهـارة الصّـياغة،فهو المبـرّز المصـقع، والنيقـد الأرفـع فـي مجـال البيـان والتصوير، وإنّ جريان خطبه((على نحوه الباهر في طوله وقصره هو دليـل علـى الفعاليّـة الخارقة لعقل مبدع موهوب ...)).[108]

وعلى ما تقدّم فالإمام (عليه السلام) مبدع نادر، وقد تضمّن إبداعه تفوّقـاً متميّـزاً علـى أقرانـه ،لأنّ الملمح الديني كان مصـبوباً بعقيدتـه فهـو داعيـة حـق قبـل أن يكـون داعيـة خطـاب.، إذ عضّد ذلك اعتماده على النّص القرآني ،حتىّ لا يتفلت منه زمام البيان فحققّ عنـدها المقاربـة مع المعنى القرآني نصّاً ومضموناً، فهو منسجم والجادّة القرآنيّة المستقيمة، فلا هو بخارج أو منحرف عنها ؛بل محاذياً مهتدياً بها دالاً عليها، وهذا سرّ إبداعه الأوّل فـتلألأ بـالقرآن، ومـن هنا فلا توجد صفات يختصّ بها الإمام (عليه السلام)، وهي غير قرآنيّة ،لأنّه كان يرفضـها فهـو

لا يستقبل إلا فيضه،وبذلك فكل ما جاء به من غير القرآن وضعه في المرقاة للتصفية، لينقّي بلاغته على مذاق إعجازه، وهو يعترف بذلك، ويتشرّف به فيتفوّق بها بمهام الوصاية والولاية والرّسوخ بتسديد الهي قرآني، وتربية نبويّة عتيدة :مبدعاً ومفكراً وخطيباً.

وأخيراً تجب الرّؤية بأبعاد أخر للعلاقة بين القرآن والإمام،إذ إنّ هذا الأثر يأخذ الصّفة القسريّة على الإمام،ذلك أنّه لا فكاك له عن ملازمة القرآن ،لأنّه حامل وحافظ له في سويداء قلبه؛ ولأنّ أقطاب الحق (والقرآن وعلي في مقدمتهما)بمثابة الغصنين في شجرة واحدة ،لا يمكن أن يفترقا ؛بل يتوحّدا بكلام واحد، ومنطق واحد ،وشأن سماوي فارد حتىّ يردا الحوض، وهما:يدعوان دائماً وأبداً إلى التوحيد والعبوديّة ،ونبذ الشّرك والوثنيّة.

((الخاتمة ونتائج البحث))

رصد الباحث الملاحظ الآتية:

* تميّز النصّ العلوي ببلاغته لخدمة الفكرة العقديّة وما كان متكلفها؛ بل أتت حاصلاً محصّلاً في خدمته، لإظهار نظرته القرآنيّة في وجوب احتذاء حذوه، واقتفاء شأوه، فعلي (عليه السلام) ربيب الصحراء وتلميذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبيع القرآن في كل ما يقول،وقد تبلورت إمامته من هذه الجذور الثلاثة فكان نطّاقاً بالحقّ طعّاناً للخارجين عنه.

وهو بذلك لم يسر لحظة في حياته إلا بهدي من ومضة قرآنيّة أو إشراق نبويّ، وعندها كانت حشاشة قلبه ممتلئة بالله فهي بالمقابل خالية من غيره، لذا كان الحديث عنده لا يدور إلا في العقيدة وفلكها فمن أخذ بحجزته نجا، ومن شذّ عنه هلك.

*إنّ القرآن الكريم مهتضم في قرائح أهل البيت عليهم السلام ،وملقى على ألسنتهم بالسليقة المباشرة أي: لا بإيراد النّص؛ بل بالتفسير والتأويل المناسبين أيضاً، ومن هنا فالإمام (عليه السلام) لا يأخذ من بلاغة القرآن على شاكلة الآخرين؛ بل يأخذها واضحةً، ويلقي سليقة بلا تعمد ولا تكلف البتّة، ذلك ما أعطاه رسوخاً فيهاً فوق قدرة البشر.

* اتسق الأثر القرآني في الخطاب العلوي من عدّة محاور: أهمها الأثر الأخلاقي ،والتّوجيه الإرشادي، والإيضاح العقدي، وشرح مكامن القصص والأمثال والمواقف القرآنية وكان ذلك من الإمام في مصلحة الأمة وتوعيتها ،وقد أخذت انعكاساً على صفحة ارتسام اللغة، لأنّ هذه العمليّة التبادليّة بين النّص التنزيلي، والخطاب العلوي قد أثرت اللّغة من جانبها اللفظي والمعنوي والعلائق الأسلوبية الواصلة بينهما.

أو بمعنى آخر: إنّ القرآن أثر أوّلاً في اللغة، ثمّ المناهج الأسلوبية في التعاطي العلمي ثانياً ،وهو المؤسس الحقيقي للحضارة الإسلاميّة، وقد أصبح الخطاب العلوي دعامة أخرى في

التوجّه الحضاري للقرآن، بمعنى أنّهما أنتجا سموّاً حضاريّاً في المجالات اللغويّة والبلاغيّة والعلميّة .

* إنّ منشأ التوليد المعنوي عند الإمام هو فيض القرآن، فالإمام ولاد معان، ومحور دفقات في إبانات راسخة من قلبه ممدودة بالجريان القرآني، وهي توضّح الدّلائل على أنّه يتحلى بمهام تشريع الفصاحة وأصولها ،وتثبيت البلاغة ونواميسها،وبذا فهو يستشرف الحكم الصّحيح بالمنطق الفصيح لكلّ قضيّة تعرض عليه.

أمّا ما ورد في كلامه على أنّه من الغريب- وإنّ تضمّن هذا القليل- فإنّه يتّسق انسجاماً مع بقيّة السّياق ممّا يفضي على كل النّص أنساً بلاغيّاً، لأنّ الإمام (عليه السلام) هو ابن البادية في مطلع حياته ،وقد علمته الجزالة والقوّة ،في حين كان القرآن العظيم وإيمانه الراسخ كفيلين في رفده بالمعاني السّامية والفرائد العالية التي هذبت أسلوبه نحو خطى التفوّق.

* أمّا تسخير الإمام للموضوعات بلاغيّاً فذلك أنّه لمّا كانت بلاغته فوق مستطاع البشر ،وهي في ذلك تبقى في الحدود الإمكانيّة، ولا تتجاوز إلى حدّ الإعجاز، إذ لا يقع في هذه المنطقة إلا كتاب واحد ،وعندها يتأرجح الإمام بين الإبداع والإعجاز، فهو يحاول أن يقتطف من المعجز الخالد، ليلوّن صوره في خطابه ذي البلاغة المبدعة.

*أصبح الإمام راسخاً بليغاً ببلاغة القرآن المعجزة، لأنّه ترشّف استنارات الآيّ من القرآن، وأعاد تكوينها أو تشكيلها بياناً علويّاً وسطوعاً إماميّاً من خلال رسوخ قدمه في الإيمان وهذا أوّلاً.، بمعنى أنّه أعاد صياغة هذا الارتشاف من النبع القرآني على نحو خطابات متسلسلة لا يرقى الشكّ إلى مفادها ،لأنّه هو قائلها ،ومن هنا فالرّسوخ هو علة تمثل الإمام ببلاغة القرآن الكريم. أمّا الإعجاز القرآني وهو ثانياً: فقد استله الإمام (عليه السلام) ثمّ أعاد نشره خطباً بيانيّة ثائرة.

وعليه فاقتباسات الإمام القرآنيّة وإفاداته - كما تقدّم- من الآيات والسّياقات والصّور والإحالات توضّح إحاطته البلاغية في جوامع الكلم،وحصافته العلميّة في فصل الخطاب،لأنّها أقوى المنقولات؛ فكلام الله تعالى هو المفحم المسكت، فلا كلام قبله، ولا وكلام بعده فهو أحقّ أنّ يتبع في الاحتذاء والتفسير والاستدلال، تقويّة لمنطق الكلام العلوي، وإسناداً لحجّته الإيمانيّة، فضلاً عن إتباعه تسلسل النّص معنويّاً وإيقاعيّاً في أداء مقاصده.

وبعد: فهذه ومضات متأمّلة منتقاة من النّهج العلوي استقاها الإمام من بلاغة التّنزيل، ليطوّف بها على النفوس فيصفيها، ويدنو بها من القلوب ليزكّيها ،وهكذا كان.

*نسأل الله سبحانه وتعالى القبول، والسّداد، والتوفيق لما يحب ويرضى:**((وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين))...***

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر: في تفصيل ذلك: فضائل الخمسة من الصحاح الستة (ومصادره) 2/135-140، والغدير في الكتاب والسنة والأدب (ومصادره) 3/251-257.
(2) روائع نهج البلاغة ص10.
(3) المرجع السابق نفسه، ص33.
(4) مقدمة السيد الشريف الرّضي للنهج بتحقيق الدكتور الصّالح ص34.
(5) المصدر السّابق نفسه والصّفحة نفسها.
(6) المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ص33.
(7) روائع نهج البلاغة ص31-32.
(8) سورة التوبة / الآية119.
(9) ينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل 1/259-262.
(10) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص130 وبتعليق وضبط الدكتور صبحي الصالح ص125.
(11) تنظر: الآيتان 65-66 وما بعدهما.
(12) سورة آل عمران/ الآية7.
(13) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص205، والصّالح ص201.
(14) سورة آل عمران/ الآية 34.
(15) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص147 والدكتور الصالح ص137).
(16) موسوعة كربلاء 2/495.
(17) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص348، والدكتور الصالح ص354).
(18) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص252 والدكتور الصالح ص252).
(19) سورة آل عمران / الآية 61.
(20) سورة الشورى / الآية23 .
(21) ينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل 2/130-146.
(22) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص250 ،والدكتور الصالح ص250).
(23) من الآية 15/ سورة فصّلت.
(24) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص175 والدكتور الصّالح ص166).
(25) التصوير البياني ص433.
(26) ينظر على سبيل المثال من القدماء: الجاحظ: البيان والتبيين 1/83، ومن المحدثين: جورج جرداق: روائع نهج البلاغة ص 13-19..
(27) سورة القصص/ الآية 83.
(28) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص34 ،والدكتور الصالح ص49-50).
(29) سورة النساء /من الآية 103.
(30) سورة المدثر / الآيتان 42-43.
(31) نهج البلاغة (بشرح الشيخ محمد عبده ص314 والدكتور الصالح 316).
(32) سورة ق/ الآية 21.
(33) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص120 والدكتور الصالح 116). وينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفصيل 2/188.

(34) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص89 والدكتور الصالح ص94).
(35) نهج البلاغة بشرح محمد عبده ص،120 والدكتور الصالح ص116.
(36) سورة فصّلت / الآية30.
(37) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص253 والدكتور الصالح ص253).
(38) نهج البلاغة بشرح الدكتور الصّالح ص95.
(39) نهج البلاغة بشرح الدكتور الصالح ص395.
(40) نهج البلاغة بشرح الدكتور الصالح ص180.
(41) سورة السجدة / الآية11.
(42) سورة الجمعة/ الآية 8.
(43) سورة العنكبوت/ الآية 57.
(44) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص230 والدكتور الصّالح ص230).
(45) سورة آل عمران/ الآية 85.
(46) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمّد عبده ص223 والدكتور الصّالح ص222).
(47) سورة ق/ الآية 18.
(48) نهج البلاغة بشرح الدكتور الصالح ص255.
(49) سورة الحديد/ الآية 23.
(50) نهج البلاغة (قصار الحكم) تحقيق الشيخ محمد عبده ص503 والدكتور الصالح 553-554.
(51) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص17 والدكتور الصالح ص39).
(52) سورة الفاتحة/ 1 .
(53) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص83 والدكتور الصالح ص88-89).
(54) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص59 .
(55) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص151-152 والدكتور الصالح ص142).
(56) سورة الفرقان/ الآية 44.
(57) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص 159 والدكتور الصالح ص150.
(58) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص159.
(59) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص199 والدكتور الصالح ص194).
(60) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص104-105.
(61) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص40 والدكتور الصّالح ص54).
(62) سور الإسراء/ الآية 64.
(63) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص71-72).
(64) ينظر: نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده هامش ص72.
(65) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص251 والدكتور الصّالح ص251).
(66) علي بن أبي طالب سلطة الحق ص286.
(67) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمّد عبده ص69 والدكتور الصالح ص77).
(68) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص39 والدكتور الصالح ص53).ومن مواضع القرآن التي ضمّن منها الإمام نصّه قوله تعالى:((. . . **ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً**))النساء /الآية 38وقوله تعالى:((... **ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**))الأنعام/الآية 43،وقوله تعالى:((**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**. . .))المجادلة /الآية19وغيرها.
(69) سورة الأنعام/ الآية 112.
(70) صفوة شروح نهج البلاغة/ هامش ص57.

(71) الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة) 248/1.
(72) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص281.
(73) ينظر: كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص402.
(74) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص344 والدكتور الصالح ص350).
(75) صفوة شروح نهج البلاغة هامش ص567.
(76) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص109 والدكتور الصّالح 108-109).
(77) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص317).
(78) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص261).
(79) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص291.
(80) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص134 والدكتور الصّالح ص128).
(81) سورة لقمان/ الآية 10 .
(82) سورة فصلت/ الآية 11.
(83) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص41 والدكتور الصّالح ص56).
(84) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 253/1.
(85) سورة آل عمران/ الآية 34.
(86) شرح نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص212 والدكتور الصالح ص210).
(87) علي بن أبي طالب سلطة الحق ص285.
(88) مدخل إلى كتابي عبد القاهر ص349 وينظر: المرايا وهندسة الصّور في خطب الإمام علي (عليه السلام)- مقال في صحيفة الفرات ص3 سنة 2000.
(89) الإبداع والخطاب في أسرار عبد القاهر ودلائله (بحث) ص64.
(90) روائع نهج البلاغة ص12.
(91) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص192 والدكتور الصالح ص185).
(92) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص80 ..
(93) مقدمة الدّكتورالصّالح للنهج ص12.
(94) مدخل إلى كتابي عبد القاهر ص394.
(95) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص124 والدكتور الصالح ص120).
(96) ملحق الدكتور الصالح بشرح نهج البلاغة ص597.
(97) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص141.
(98) الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي 296/1.
(99) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.
(100) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص159-160. .
(101) الديباج الوضيي في الكشف عن أسرار كلام الوصي 391/1.
(102) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 186/2.
(103) سورة نوح / الآية 26.
(104) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده ص175).
(105) نهج البلاغة بشرح (الشيخ محمد عبده (قصار الكلم) ص81.
(106) البيان والتبيين 83/1.

(107) صفوة شروح نهج البلاغة ص771.
(108) علي بن أبي طالب سلطة الحقّ ص291. وينظر: المرايا وهندسة الصور في خطب الإمام علي (ع)- صحيفة الفرات ص3/ لسنة 2000م.

كشّاف المصادر والمراجع:

- خير مانبدأ به القرآن الكريم.

- الإبداع والخطاب: قراءة في أسرار عبد القاهر الجرجاني ودلائله: (بحث): مجدي أحمد توفيق / مجلة فصول المصريّة / المجلد العاشر- العدد الأوّل 1991.
- البيان والتبيين: لأبي عثمان بن بحر الجاحظ, تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ط2) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر- 1380هـ-1960م.
- التصوير البياني: د. محمد محمد أبو موسى (ط2)، دار التضامن للطباعة القاهرة- 1400هـ/1980م.
- الديباج الوضيّ في الكشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة للإمام أبي الحسين يحيى بن حمزة الحسيني)/ تحقيق: خالد بن قاسم بن محمد بن المتوكل (ط1) مؤسسة الإمام زين العابدين الثقافية صنعاء 1424هـ/2003م.
- روائع نهج البلاغة: اختارها ورتبها وقدّم لها بدراسة واسعة: جورج جرداق (ط2) مركز الغدير للدّراسات الإسلامية- مطبعة بافري 1417هـ/1997م.
- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي (ط1) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم/ دار إحياء الكتب العربية- القاهرة 1378هـ/1959م.
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم: للحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله الحسكاني/ حققه وعلق عليه: الشيخ محمد باقر المحمودي (ط1) مؤسسة الأعلمي بيروت-1393هـ/1974م.
- صفوة شروح نهج البلاغة (شرح ابن أبي الحديد المعتزلي) و(شرح الشيخ محمّد عبده) وتعليقات (الدكتور صبحي الصالح): جمعه ونسقه وضبط نصه/ أركان التميمي (ط2) مؤسّسة العارف للمطبوعات بيروت- لبنان 1425هـ/2004م.
- علي بن أبي طالب (ع) (سلطة الحق): عزيز السيد جاسم (ط2) مشترك- سينا للنشر (مصر-القاهرة) ومؤسّسة الانتشار العربي (بيروت- لبنان).
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب: للعلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي/ تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلامية (ط1) إيران- قم المقدسة 1416هـ/1995م.
- فضائل الخمسة من الصّحاح السّتة: تأليف السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي/ تحقيق المجمع العالمي لأهل البيت (ع) (ط1) قم- مطبعة ليلى/ 1422هـ.
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: تأليف السيد الإمام يحيى بن حمزة العلوي اليمني/ مراجعة وضبط وتحقيق محمّد عبد السلام شاهين (ط1) دار الكتب العلمية- بيروت 1415هـ/1995م.
- مدخل إلى كتابيّ عبد القاهر الجرجاني: د. محمّد محمد أبو موسى (ط1) مطبعة التضامن/ القاهرة 1418هـ/1998م.
- المرايا وهندسة الصّور في خطب الإمام علي عليه السّلام (مقال): الأستاذ المساعد الدكتور مشكور كاظم العوّادي / صحيفة الفرات العدد/25 في2000/10/11م.

- المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري: للدّكتور زكي نجيب محمود, (ط5) دار الشروق/ القاهرة 1993م.

- موسوعة كربلاء: تأليف الدكتور لبيب بيضون (ط1) -مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت-لبنان/ 1427هـ/2006م.
- نهج البلاغة: وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين(ع)، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلميّة الدكتور صبحي الصّالح.طبع أوفسيت-منشورات دار الهجرة/قم المقدسة .د.ت.
- نهج البلاغة: للإمام علي بن أبي طالب (ع) جمعه الشريف الرّضي، تقديم وشرح: الشيخ محمد عبده (ط1) مؤسسة المختار/ الشركة الدوليّة للطباعة- مصر 1425هـ/2006م.

باسمه تعالى:

الخلاصة: (أثر القرآن في نهج البلاغة)

.- التفوّق البلاغي أنموذجاً-

لقد حاز الإمام علي-عليه السّلام- أعلى مراتب الإمكان البشري بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فهو إمام البلغاء والمتكلمين كما هو إمام المتقين وآيته في ذلك(نهج البلاغة) الذي يمثل أساساً بيانياً ونمطاً أسلوبيّاً يسمو به البيان على مرّ العصور،وكان ذلك من ثمار المدرسة القرآنيّة النبويّة التي تربى الإمام في أحضانها ،فضلاً عن رسوخه،وهو عنصر متولد من الجنان القرآنية المزروعة ثمارها في القلب العلوي،وقد أينعت بفضل كتاب الله الذي يعد ساقيها وحاميها، والمغدق عليها من سلسبيله ،وعندها جاءت بلاغته مصداقاً متواضعاً للبلاغة القرآنيّة المعجزة على امتداد للخط المحمدي في الدفاع عن القرآن شرحاً وتبياناً ورسوخاً متمكناً في السّرد و الخطاب بخصائص بنائيّة، وصور بيانيّة ،وفرائد مبدعة ،فهو لايداهن في كلامه أحداً؛بل يلقي الحقائق مسكة للأسماع قبلها من قبلها، وتأبّاها من تأباها؛لإنّه شديد في جانب الحقّ وإن قلّ أصحابه ومؤيّدوه..

Impression of Quran on "Nahj Al-Balagha"

Rhetorical Superiority as an Example

Abstract

Imam Ali (Peace be on him) had acquired the highest most characteristic levels of capacity, second to our Prophet (Allah may pray on Him and His Household). He was the leading figure of the rhetoric and the orator; he was also the leading figure of the pious and God-fearing. "Nahj Al-Balagha" represents rhetorical basis and model of style in which rhetoric sublimes all ages. That famous book was the fruit of the Quranic School led and established by our Prophet (Allah may pray on Him and His Household) where Imam Ali (Peace be on him) had grown up throughout his childhood and youth. And thanks to that there had been an *Alawian* methodology of unique value represented in rhetoric significance,

in addition to its generating from the Quranic bases that enriched "Nahj Al-Balagha" to make Imam Ali's outstanding rhetoric a pure humble work of literature correlated with miracle rhetoric of the Quran.

"Nahj Al-Balagha" is regarded as an established extension to the Prophet Mohammed's method in protecting and assisting the Quran teachings and honest explanations. In addition this book took from the Quran resolution and well-rooted method in oration presenting.

Imam Ali (Peace be on him) in "Nahj Al-Balagha" had never adulated anybody when giving speeches, but presented most affecting and sound facts that drew the attention of listeners. He never tried to force on others what he used to teach. This is because he was firm in the right in spite of the little number of his supporters.

Praise be to Allah, the Mighty.

Associate Professor
Dr. **Mashkour Kadhum Al-Awady**
College of Arts/
Department of Arabic/
University of Kufa